فأحفظ ذلك زوجيه الأخريين، وجعل منزله جحيمًا، ولكنه احتمل هذا الجحيم، وكان خليقًا أن يحتمل أضعافه في سبيل «هناء».

ويجب أن نعترف بأن «هناء» على سحرها وطغيانها لم تستطع أن تغير من سيرة علي مع ذكرى أم خالد قليلًا ولا كثيرًا. ولولا ما كان من موت عبد الرحمن وسفر علي إلى القاهرة مع ابنه خالد، ثم ما كان من موت الشيخ فجأة لتحدث علي إلى الشيخ بهذا الزواج، أو لتندر الشيخ على علي في شأن هذا الزواج. وهذا الشيخ الشاب يعبث بعليٍّ على هذا النحو، فيُثير في نفسه شيئًا يريد أن يكون غضبًا، ولكنه يستحي أن يسمي نفسه بهذا الاسم، فلنسمه نحن فتورًا. وكان فتورًا ثقيلًا حقًّا؛ فقد أصبح علي وقد صمَّم على ألا يتجهز للحج، فهو مشغول بأهله حقًّا. ألم يتزوج منذ أسابيع؛ فما تركه لامرأته أشهرًا! وإلام يصير الأمر بين أزواجه إذا تركهن؟ وهو مشغول بماله، فتجارته متأخرة كما رأيت. وقد صدق الشيخ حين قال له: لا تنتظر أن يترك لك عبد الرحمن مالًا. فلم يترك عبد الرحمن مالًا، وإنما ترك أربع نسمات قد نُقلن إلى المدينة ليعشن في كنف علي وابنه خالد. وسيحتجن إلى نفقة من غير شك، وستزداد أعباؤه ثقلًا، فلا بد من أن يعمل، ويعنى بتجارته لينهض بهذه الأعباء. وليس من شك في أن خالدًا يعينه على بعض أمره منذ أصبح موظفًا. ولكن أين تقع معونة خالد من هذه البطون التي لا تمتلئ والأفواه التي لا تشبع، ومن هذه الدار التي كان يشبِّهها علي بجرة لا قعر لها، فلا سبيل إلى أن تمتلئ؛ وأمسى علي من يومه ذاك، فصلى مع الشيخ، وشهد معه حلقة الذكر.

فلما تفرق الناس أقبل على الشيخ مستخذيًا وهو يقول: لقد أنبأتني بالحق أمس يا سيدنا. قال الشيخ: ألم أقل لك إنك لن تستطيع أن تنفر معنا؟! فأصلح من أمرك وانصح لأهلك ومالك، وأقم على طاعة الله وابتغاء مرضاته، وفكر في أنك لم تؤد فريضة الحج بعد، وفي أنَّ من الحق عليك أن تؤديها. وإني لأرجو إن أتاح لي الله حياة أن أحج لنفسي من قابل، فاجتهد في أن تصحبني في هذه الحجة. وخرج عليٌّ راضيًا كل الرضا؛ فقد قبل الشيخ عذره من غير مشقَّة، وفتح له بابًا واسعًا من أبواب الأمل؛ فليصلحنَّ من أمره، وليحسننَّ تدبير ماله، وليحجنَّ مع الشيخ في العام المقبل، بينه وبين ذلك عام كامل تهدأ فيه ثورة الحب هذه التي كادت تُفسد قلبه، وكادت تجعله عبدًا لهذه الفتاة التي تسمى «هناء». إنها لهناء كاسمها، إن وجهها لجميل مشرق، وإن لها لقوامًا معتدلًا. وإنها لتُحسن العناية به والحنو عليه، وإنها لتلقاه بابتسام حلو شابٍّ لم يعهده عند غيرها من النساء، وإن صوتها ليقع من قلبه موقعًا عذبًا كأنه قطرات الندى. ويروح على